الخطوط المغربية في المخطوطات والوثائق

محمد المغراوي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط

لا يستفيد البحث العلمي في المخطوطات والوثائق المغربية فقط من مضامينها العلمية، بل أيضا مما تتضمنه من جوانب فنية تعتبر رصيدا مهما من التراكم التقني والفني الذي يعبر عن عطاء المغاربة وتألقهم في أنواع الخطوط والزخرفة وصناعة الكتاب.

وإذا كانت وظائف الخط المغربي متنوعة في جوانب مختلفة من الحضارة، فإن تنوعها في المصادر والوثائق يعكس تطورا واضحا حسب العصور والمناطق، من جهة، وحسب أنواع الوثائق من جهة أخرى. ومن خلال هذه التنوع نقف على غنى الخط المغربي وتنوع أساليبه وتطوره المستمر.

نقصد بالخط المغربي مجمل الخطوط التي طورها الأندلسيون والمغاربة عن الخطوط العربية القديمة مثل الخط الكوفي، والتي عملوا عبر العصور على إضفاء مسحة محلية عليها تنسجم مع ميولهم الفنية ومعطيات بيئتهم الثقافية.

لم يخضع الخط المغربي لحد الآن لدراسة فنية معمقة تسهم في إزاحة الغموض عن بعض الإشكالات القائمة حول أصله الذي التبس على معظم الباحثين الذين تعرضوا له، على قلتهم[1]. ونعتقد أنه من السابق لأوانه الآن تقديم رأي نهائي حول أصل الخط المغربي، لاعتبارات أهمها عدم توفر نماذج خطية تغطي القرون الثلاثة

(1) فتيحة الشقيري، **جوانب من التطور التاريخي للخط المغربي**، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 1990، ص 15.

الأولى من كل البيئات المغربية، وصعوبة التوصل إلى كل ما هو معروف لحد الآن، إما لعدم الاهتمام بالتعريف به وبدراسته وفهرسته ونشره، وإما لنشره بوسائل لا تغني عن معاينته.

وبما أن الإسهامات في التأريخ للخط المغربي تعتبر قليلة بالمقارنة مع الخطوط العربية الأخرى، فنقترح اعتماد تصنيفين للخط المغربي أحدهما رئيسي والآخر فرعي، يستوعبان جميع مراحل تطوره والأنواع التي انحصر فيها. ولعل أقدم محاولة للتأريخ له هي محاولة الباحث الفرنسي هوداس (Houdas) الذي قسم الخطوط المغربية إلى مدارس حسب أماكن تجويدها وهي القيروان وفاس والأندلس والسودان. وحاول تطبيق هذا التقسيم على الكتابات المغربية بصفة عامة. ورغم أنه حرص على ذكر بعض الفروق بينها فإنه لم يتمكن من التمييز الدقيق بينها فوصفها بالغموض[2]، ومرد ذلك ولا شك إلى أنه لم يشفع تقسيمه بأدلة خطية كافية تغطي اختلافات خطوط المدارس التي ذكرها.

فالأنواع الرئيسية المعروفة خمسة هي : الكوفي المغربي، والمبسوط، والثلث المغربي، والمجوهر، والزمامي. لكن بعض هذه الأنواع الكبرى تتفرع عنها أساليب أو أنواع أو فروع إما محلية أو شخصية أو مرتبطة بمرحلة معينة. فالكوفي نستطيع أن نميز فيه بين أنواع الكوفي الأندلسي وأنواع الكوفي المغربي، وفي الكوفي المغربي نستطيع التمييز بين عدة أساليب، حتى إننا توصلنا إلى تحديد حوالي 18 نوعا من الخطوط المغربية ذات المميزات الواضحة[3].

وعلى العموم نرى أنه من الضروري التمييز بين استعمالات الخط المختلفة ؛ ونميز فيها بين مستويين في كتابة الخطوط المغربية، أحدهما يتعلق بما نسميه بالخطوط المعيارية ذات المسحة الفنية العالية التي يكتبها في العادة الخطاطون المجيدون

(2) هوداس، «محاولة في الخط المغربي»، ترجمة عبد المجيد تركي، **قضايا ثقافية من تاريخ الغرب الإسلامي**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1988، ص 454.

(3) نقوم حاليا بدراسة خصائص هذه الأساليب من خلال النماذج العديدة التي وقفنا عليها، ونأمل أن نتوصل إلى بعض خصائصها على وجه الدقة في أفق وضع قواعدها. أما بخصوص أسماء الخطاطين الذين أبدعوها فلم نقف إلا على أسماء محدودة.

والنساخون المتقنون، ويتعلق الآخر بالخطوط الاعتيادية الأقل جودة التي يكتبها العلماء وطلبة العلم الذي يفتقرون إلى الموهبة الخطية المتميزة ؛ فالخطوط المعيارية غالبا ما تكتب بها المصاحف الكريمة(4) التي يتطلب نسخها دقة وضبطا لا يتوفران إلا للنساخ المحترفين، ومثلها عدد من كتب ودواوين العلم التي أسندت كتابتها لهذا النوع من النساخ، وقد يقتصر الخطاط المتقن أحيانا على كتابة عناوين الأبواب فقط بالثلث المغربي والكوفي المغربي غالباً، في الوقت الذي يكتب فيه متن الكتاب بخط عادي أقل جودة. ونجد هذه الخطوط المعيارية أيضا في النقائش والآثار.

أما الوثائق المخزنية فكانت تكتب بالخط المجوهر، وتختلف جودة خطوطها، حسب النساخين، بين الخطوط المليحة والخطوط المتوسطة. نفس الملاحظة يمكن تسجيلها بالنسبة لخطوط الوثائق العدلية والحوالات الحبسية. أما التقاييد والكنانيش فكانت تكتب إما بالخط المجوهر السريع أو بالمسند وأحيانا بخطوط مدمجة تتداخل فيها مؤثرات عدة أنواع.

بجانب خطوط المخطوطات نلاحظ أن الخطوط التي استعملت في الآثار والزليج والنقائش كانت في غالبها خطوطا معيارية نقشت بعناية بالغة، وهذه لن نتعرض لها هنا.

وهذه هي أنواع الخطوط المستخدمة في المخطوطات والوثائق المغربية منذ أقدم عصورها :

1- الكوفي المغربي :

يمثل الخط الكوفي الأندلسي والمغربي استمرارا للكوفي المشرقي، مع بعض الخصوصيات التي تظهر من خلال النماذج المتوفرة في العديد من مصاحف الغرب الإسلامي. وعموما نستطيع أن نميز في الاستعمالات العامة بين الكوفي المغربي

---

(4) تتوفر المئات من المصاحف المغربية المخطوطة التي تعود إلى ما قبل القرن التاسع الهجري في الخزانات العامة والخاصة، انظر حولها فهارس الخزانات المنشورة. وانظر أيضا دراسة الأستاذ محمد بن سعيد شريفي، **خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة، من القرن الرابع إلى العاشر الهجري**، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975، ففيها تقييم علمي لخطوط العديد من المصاحف المغربية التي درسها.

وبين الكوفي الأندلسي الذي يميل قلمه نحو الرشاقة أكثر، والذي يمكن تصنيفه حسب أنواع فرعية متعددة أيضا، وأغلبه الكوفي الأثري. لقد توقف استخدام الكوفي في المصاحف القرآنية في حدود القرن الخامس الهجري بتحول الأندلسيين والمغاربة إلى كتابة المصحف بالخط المبسوط. ومن أروع نماذج الكوفي المغربي النسخة رقم (ج 1) بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية[5] (شكل 1).

أما أغلب المصاحف الكوفية الموجودة بالخزانات المغربية فإنها تعود إلى ما قبل القرن الخامس وكتبت بخطوط كوفية مشرقية، مع احتمال نسخ بعضها في المغرب أو الأندلس، لكن على القاعدة المشرقية، وذلك قبل أن تستقل المصاحف المغربية بخصائصها في الخط والضبط.

بعد القرن الخامس الهجري سيظل استخدام الكوفي في المصاحف المغربية محدودا[6] في عناوين سور القرآن الكريم وعلامات تجزيء المصاحف[7]، وذلك لتمييز خطوطها عن خط سور القرآن الكريم التي ظلت تكتب بالخط المبسوط. وكان التمييز بين النص القرآني وما أضيف إلى المصحف الكريم من عناوين السور وعلامات الوقف والتجزيء مسألة حساسة لدى ناسخي المصاحف.

(5) تحتفظ المكتبة الوطنية بجزءين من هذا المصحف الكريم المكتوب على الرق، والذي كان مكونا في الأصل من ثلاثين جزءا، وهو نسخة ملوكية فريدة، كتبت بخط كوفي مغربي فريد به أثر الكوفي القيرواني. ولا نملك دليلا قويا عن مكان نسخها، أهو المغرب أم الأندلس ؟ كما أن أستاذنا العلامة المرحوم محمد المنوني رجح أن تكون كتبت في حدود القرن الخامس الهجري. ويوجد جزء شبيه الخط بهذا المصحف بمكتبة الملك ألبير ببروكسيل.

(6) سبق انحسار الخط الكوفي في المشرق بعد الإصلاح الخطي للوزير أبي علي بن مقلة (قتل سنة 328هـ) حيث أخذ خط النسخ يعوض الخط الكوفي، أما في المغرب فقد استمر الخط الكوفي في كتابة المصاحف لما يقرب من قرن بعد ذلك.

(7) النماذج كثيرة في أغلب المصاحف المخطوطة، انظر مثلا : **فن الخط في الإسلام من خلال مجموعة مؤسسة عمر بنجلون**، لمحمد السجلماسي، Ed. Oum، الدار البيضاء، 1999، ص 130-131 ؛ و**المخطوطات القرآنية في المتحف الإسلامي في الحرم الشريف، القدس**، لخضر سلامة، دار غارنت للنشر بالمملكة المتحدة واليونسكو للنشر بباريس، 1992، ص 58-59، 78-80، 82-83، 139-141 ؛ و**جمال وجلال، مصاحف المكتبة الوطنية**، نشر معهد العالم العربي والمكتبة الوطنية، باريس، 1987، ص 34، 36-38، 43.

أما في المخطوطات غير القرآنية فنادرا ما يستعمل الكوفي، ولا نعثر عليه إلا في قيد ختام بعض النسخ الملوكية التي تحتفظ بعض خزائن الكتب ببعض نماذجها، ومنها الخزانة الحسنية بالرباط[8].

2- الثلث المغربي :

هناك اختلاف بين الباحثين حول تسمية هذا النوع ؛ فهناك من يطلق عليه اسم المشرقي أو الخط المشرقي المتمغرب[9]، والأصل في تسمية المشرقي تتعلق بنوع الثلث المشرقي الذي دخل إلى المغرب في عهد السعديين وشاع استعماله مدة في النقائش السعدية فسماه المغاربة بالمشرقي تمييزا له عن الثلث المغربي والأندلسي الذي كان معروفا منذ قرون قبل ذلك. لهذا نرى تسميته بخط الثلث المغربي لتكون التسمية أكثر دقة وتعبيرا.

يمتاز خط الثلث المغربي بليونته وانسياب حروفه، وإمكانياته غير المحدودة على التشكل مثل خط الثلث المشرقي، لكنه يختلف عنه في خاصية أساسية وهي أن صور وأحجام حروف خط الثلث المشرقي لها نماذج معيارية محددة يحرص الخطاطون دائما على بلوغها وإتقانها، بتطويع تركيباتهم وابتكار تشكيلات متناسقة ؛ في حين يجد الخطاط في الثلث المغربي حرية أكبر في تطويع صور الحروف نفسها، بسبب اختلاف النوعين في الخضوع للقواعد الفنية ؛ فبينما

(8) مثل المخطوط رقم : 4، أو في بعض نسخ **دلائل الخيرات**، مثل المخطوط رقم 730، بالخزانة الحسنية أيضا. والمخطوط رقم 12617 وهو نسخة من **صحيح الإمام البخاري** بنفس الخزانة. انظر صور هذه الخطوط عند محمد السجلماسي، **ذخائر مخطوطات الخزانة الملكية بالمغرب**، منشورات أ. س. ر. باريس، 1987، ص 49-53.

(9) قدم الخطاط عبد الكريم سكيرج تبريرا ضعيفا لتسميته بالخط المشرقي فقال : «وسمي بالمشرقي لأن أصله من بلاد المشرق، ولكن مغربته يد المبدعين المتقدمين، وتصرفت فيه أذواقهم»، في مقاله «الخط العربي المغربي»، **مجلة الثقافة المغربية**، العدد 2، سبتمبر 1941، ص 69 ؛ واستعمل نفس التسمية أستاذنا الراحل العلامة سيدي محمد المنوني رحمه الله في كتابه **تاريخ الوراقة المغربية**، ص 14 ؛ واستخدمها أيضا الخطاط البارع الدكتور محمد بن سعيد شريفي في دراسته : **اللوحات الخطية في الفن الإسلامي المركبة بخط الثلث الجلي، دراسة فنية في تاريخ الخط العربي**، دمشق، دار ابن كثير، ط 1، 1998، ص 275. ونحن نرى أن الخطوط المغربية كلها ذات أصول مشرقية، فتخصيص هذا النوع وحده بنسبته إلى المشرق غير دقيق، لذلك فضلنا تسميته بالأصل القريب منه وهو خط الثلث.

يخضع خط الثلث المشرقي لقواعد صارمة، هي نتيجة لتراكم تجارب كبار الخطاطين على مدى عدة قرون، نجد الثلث المغربي لا يخضع لقواعد متفق عليها[10]، سوى المعايير الجمالية البصرية التي تضفي على الكتابة انسيابية وتناغما داخليا، وقوة في التأثير على الناظر. لهذا كان إتقان هذا النوع من الخط المغربي أصعب لأن رسمه يتطلب إحساسا شاعريا بالحروف وتركيبها، واندماج الكلمات في وحدة منسجمة. ولهذا النوع من الخط أساليب شخصية متعددة (شكل 2).

ونظرا لما في تركيب الثلث المغربي من صعوبة في الإنجاز، وفي القراءة أيضا، إذا كتب متداخلا، فقد اكتفى الخطاطون باستعماله لأغراض جمالية في كتابة عناوين الكتب والفصول والتختيمات[11] فقط في المخطوطات خاصة النسخ الخزائنية منها[12]، وشاع استخدامه بشكل كبير في مخطوطات القرون المتأخرة حيث حل محل الكوفي في كتابة عناوين السور في المصاحف القرآنية، وعناوين الأبواب في نسخ مجموعة من الكتب مثل الجامع الصحيح للإمام البخاري ودلائل الخيرات للإمام محمد بن سليمان الجزولي، والشفا في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض السبتي، وذخيرة الغني والمحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج للشيخ المعطى بن محمد الصالح الشرقي[13] ؛ وهي من الكتب التي تبارى أحذق الخطاطين والمزخرفين المغاربة في إبداع نسخ رائعة منهما، لا تزال الخزائن المغربية والعالمية تحتفظ بالمئات منها. بجانب هذه الكتب كانت الدواوين التي تنسخ للملوك

---

(10) ليس الخط المغربي وحده من الخطوط العربية التي لم توضع لها قواعد، بل هناك أنواع أخرى لا تخضع لقواعد صارمة دون أن يعني هذا أنها تفتقر إلى نسق فني ومنطق جمالي خاص. وهناك محاولات حالية لتقعيد الخط المبسوط بالخصوص، الذي تقترب حروفه من مقاييس مضبوطة أكثر.

(11) التختيمة، أو التختيم، أو حرد المتن، أو قيد الفراغ، أو قيد الختام، أو تقييد الختام، كلها مسميات لمسمى واحد هو التقييد الموجود بآخر المخطوط والمتضمن للبيانات المتعلقة بتاريخ النسخ ومكانه واسم الناسخ. ويعرف في اللغات اللاتينية باسم (colophon). انظر : **معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)**، للأستاذين أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي، الخزانة الحسنية بالرباط، ط 3، 2005، ص 75-76، 99، 128، 285.

(12) محمد السجلماسي، **ذخائر المخطوطات الملكية بالمغرب**، باريس، 1987، (بالعربية والفرنسية).

(13) انظر **الذخيرة**، النسخة رقم 7868 بالخزانة الحسنية بالرباط، فهي من أجود النسخ خطا وزخرفة، ويمتاز الثلث المغربي فيها بالتشابك.

والأمراء والمغالين في اتمان الكتب من العلماء وغيرهم تخضع خطوطها للتجويد؛ ويتألق النساخون في كتابة الثلث المغربي لما يضفيه عليها من جلال وسمو[14].

وقد وجد توجه فني جديد في حدود القرن التاسع عشر الميلادي حيث أخذ النساخون يستخدمون الثلث المغربي في كتابة الصفحتين الأولبين من المصحف الكريم بخط الثلث المغربي وسط تكوينات زخرفية بديعة[15] (شكل 3).

3- المبسوط أو المستقيم :

ظهرت معالم خط المبسوط[16] في القرن الخامس الهجري، متفرعا عن خط مشتق من الكوفي القديم كان يعرف بالخط القرطبي. وأقدم استعمال لمصطلح خط المبسوط عند ابن سماك العاملي الأندلسي من أهل القرن التاسع الهجري، الذي ذكره فقال : «وخط المصاحف وهو الخط المبسوط المتداول كتبه لهذا العهد»[17].

يبدو الخط المبسوط أكثر رشاقة واستقامة ووضوحا وفخامة، وتختلف أحجام حروفه عن جميع المقاييس المتعارف عليها في الخط العربي، فبعضها طويل جدا مثل الواو والراء والميم، وبعضها منفتح أكثر مثل العين الأولية. وتتميز بعض الحروف بوجود الدوائر النصفية تحت خط الكتابة، هذه الدوائر التي تشكلها أجزاء الحروف النازلة المنحنية كما هو الشأن بالنسبة لتعريقات حروف النون والصاد والسين والياء. هذه الدوائر تجعل الحرف ينساب وفق إيقاع مرن متسلسل. وبينما تكسر حروف الواو والراء التدوير المشار إليه، فإن حرف الميم يتخذ اتجاها أكثر عمقا

---

(14) أورد الدكتور محمد السجلماسي رحمه الله صرر العشرات من هذه النماذج في كتابه الرائع ذخائر المخطوطات الملكية بالمغرب، باريس، 1987، ص 58-218.

(15) انظر على سبيل المثال المصحف رقم 665 بالخزانة الحسنية بالرباط، والمصحف رقم 263 بمكتبة الحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة، توجد صورة الصفحتين الأولبين منه في كتاب **المختار من إبداعات الخط العربي**، إصدار الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، الرياض، 1419هـ، ص 102-103.

(16) قال عنه الخطاط عبد الكريم سكيرج : «وسمي بذلك لبساطته وسهولة قراءته، وبه تطبع المصاحف، وتنسخ كتب الصلوات والأدعية» في مقاله : «الخط العربي المغربي»، مجلة **الثقافة المغربية**، 1941، ص 69.

(17) ابن سماك العاملي، أبو القاسم محمد بن أبي العلاء (ق 9هـ)، **رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير**، تحقيق سليمان القرشي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004، ص 48.

يحقق الاتصال بين مختلف أسطر النص المكتوب مع ميل في آخره تلطف من شكله العمودي (شكل 4).

واختص رسم حركات المد والتشكيلات التي تتيح التفريق بين حرفين صوتيين يتخذان نفس الرسم، بأسلوب متميز عن الخطوط المشرقية. كما اقتضى نسخ المصحف الكريم التمييز بين أصول الرسم القرآني في المصحف وبين ما دخل عليه من تأثيرات وعلامات جديدة، فكان النساخ يحافظون على الرسم العثماني بالأسود بينما تكتب مختلف الحركات والعلامات والتشكيلات بألوان مختلفة[18] (شكل 5).

يتميز الخط المبسوط بوضوح حروفه وامتدادها. وأصبحت المصاحف بالأندلس والمغرب تكتب به بعدما توقفت كتابتها بالخط الكوفي، واقتصر في كتابة الخط المبسوط على المصحف الكريم بالنظر لما يتطلب رسم حروفه من تأن مقارنة مع الخطوط السريعة مثل المجوهر.

يظهر في المخطوطات المغربية المكتوبة بالمبسوط أن حروفه كانت تكتب بقلم أكثر سمكا من المبسوط الأندلسي. وكان توزيع بعض نماذجه على الصفحة يشبه توزيع الخط الكوفي القيرواني (شكل 6).

تمدنا المخطوطات المغربية المتنوعة، خاصة منها المصاحف القرآنية، بالعديد من الأساليب الفنية في هذا الخط تقترب من العشرة، أشهرها الآن أسلوب الخطاط الفقيه أحمد بن الحسن زويتن الذي طبع به المصحف الشريف طبعات حجرية في فاس وفي القاهرة، وهو الأسلوب الوحيد الذي يتبعه أغلب الخطاطين المعاصرين نطرا لشيوعه (شكل 7)، أما الأساليب الأخرى فقد توقف رسمها لأنها ظلت في مخطوطات لا يطلع عليها أحد[19]. ومن المؤكد أن تنوع أساليب هذا الخط قد حصل

---

(18) معهد العالم العربي والمكتبة الوطنية، **جمال وجلال، مصاحف المكتبة الوطنية**، باريس، 1987، ص 13، (بالعربية والفرنسية).

(19) هناك ذخائر خطية كثيرة في المكتبات العامة والخاصة لم تجد ما تستحقه من الاهتمام لتنشر ويتشبع بها نظر الخطاطين والفنانين ويسترشدون بها في إبداعاتهم، بل إن بعض قيمي المكتبات يبالغون في التستر على صور المخطوطات، مما يعتبر في الواقع أخطر أنواع طمس الذاكرة الفنية الوطنية. ولو أن هناك وعيا وطنيا حقيقيا ورغبة في خدمة تراثنا العلمي والفني لاستفدنا =

لدوافع وظيفية وفنية على حد سواء، حيث نلاحظ أن المصاحف اللاحقة أصبحت تتوجه أكثر إلى السرعة في الإنجاز والبساطة، والتقليل من عدد الأوراق مما دفع الخطاطين إلى التأقلم مع هذه المعطيات، غير أن أسلوب الخطاط الفذ محمد بن أبي القاسم القندوسي الفاسي يشذ عن هذه القاعدة بأسلوبه الذي عاد فيه مرة أخرى إلى التأثر بالخط الكوفي فكتب مصحفه الشهير والفريد في 12 جزءا[20] (شكل 8).

4- المجوهر :

بالتدريج سيتطور عن المبسوط خط دقيق رشيق سريع عرف بالمجوهر، وقد تعرض هو الآخر عبر القرون إلى تنويعات أسلوبية عديدة جدا إلى درجة أننا لا نستطيع حصرها[21].

لا نعلم سبب إطلاق هذه التسمية على هذا النوع من الخط[22]، الذي أصبح خط الكتابة المعتاد في المغرب الأقصى خلال القرون المتأخرة. انحدر المجوهر من المبسوط في حدود القرن السادس على ما يظهر من خلال النماذج المتوفرة لحد الآن، ثم صار أكثر انتشارا لسرعة الكتابة به. وقد استعمل في كتابة الكتب العلمية المختلفة والوثائق الرسمية والخاصة. وهو خط رشيق مكثف، شديد الخصوصية، تميل حروفه إلى التدوير. يشبه النسخي المشرقي في حجم حروفه وليونتها وكثافتها.

= من التطور الهائل في تكنولوجيا التصوير لنشره صور ذخائرنا الفنية على أوسع نطاق دون المساس بالأصول في شيء. لكن سيطرة العقلية الإشهارية المركنتيلية الساذجة من جهة، وعدم وضوح الأهداف من جهة ثانية، يعطل أي إحساس وطني نبيل.

(20) يوجد بالخزانة الحسنية بالرباط. وقد قام بدراسة أسلوبه الفني في المصحف المذكور الأستاذ كريم إفراق في بحث جامعي للحصول على الماستر في علم المخطوطات بفرنسا. انظر بحثه :

Corans exceptionnels, le cas al-Qandusi. approche codicologique ; Ecole Pratique des Hautes Etudes, Sous la direction de François déroche, Paris, 2009, 166 pages, dactylographiée.

(21) أحمد أبو زيد الكنساني، «من تاريخ الوراقة والوراقين بمنطقة سوس»، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية** بالرباط، ع 21-22، (96-1997)، ص 97-142.

(22) وضح الأستاذ عبد الكريم سكيرج الاسم فقال : «سمي بالمجوهر نسبة لعقد الجوهر، لجماله وتناسب سطوره. وهو للرسائل والظهائر الملوكية، وأكثر الخطوط استعمالا»، مقاله «الخط العربي المغربي»، مجلة **الثقافة المغربية**، ص 69.

تمتاز حروفه بصغرها واندماجها واستدارة بعضها مثل حرف النون والياء الأخيرة، والواو واللام والصاد والجيم وما شابه ذلك. ويقع هذا النوع في مرتبة وسطى بين المبسوط والزمامي، تحتاج قراءته إلى مهارة وتدريب خاصين. ولكونه استعمل في الكتابة على نطاق واسع، فقد عمد الخطاطون إلى تصغير حروفه وإدماج بعضها كالياء المتأخرة، وتقليل المسافة بين الكلمات والسطور، وإغلاق حروف أخرى كالعين والفاء والقاف والميم والواو. أما حروف الصاد والطاء والكاف فتبدو للناظر شبه مدورة. وهذا النوع هو الذي اصطلح على تسميته في القرون الأخيرة بالخط الفاسي، تمييزا له عن الخط السوسي والدرعي والصحراوي وغيره. وللإشارة فقد اعتبر الأسلوب الفاسي أرقى أساليب المجوهر بأناقته ودقته وانسياب حروفه (شكل 9).

5- الزمامي أو المسند :

الزمامي اسمه مشتق من الزمام وهو التقييد أو التسجيل، ولا يزال يستعمل في الدارجة المغربية بهذا المعنى إلى اليوم. يعود استعمال المصطلح، للدلالة على نوع من الوثائق الرسمية، إلى العصر الموحدي حيث كان بعض الموثقين يختصون بكتابة أزمة المجابي السلطانية، وكانوا يتبعون لمؤسسة دار الإشراف[23]. أما تسمية المسند فأطلقت عليه لوصف ميل حروفه نحو اليمين بنفس ميل الخط المسند العربي القديم. وأصبح هذا الخط منذ قرون يستعمل في التقاييد الخاصة، ويستعمله الموثقون وكتاب الشروط (المعروفون بالعدول في الاصطلاح المغربي المعاصر) في كتابة نسخ العقود، وشاع استعماله أكثر في العصور المتأخرة بضعف ملكة الخط. والمسند صعب القراءة مقارنة بباقي الأنواع، لأنه سريع ولا يستعمل في الكتب العلمية التي تتداول كثيرا، وإنما في الوثائق التي لا يقرؤها في الغالب إلا الموثقون والقضاة المتمرسون بهذا النوع من الكتابة، وهو منحدر من المجوهر (شكل 10).

(23) وهي المؤسسة المختصة في تحصيل الضرائب الشرعية، وكانت تسمى أيضا بالأعمال أو الأشغال السلطانية، ويترأسها العامل.

6- أساليب مغربية أخرى :

هناك خطوط أخرى بعضها امتداد للخط المبسوط، وبعضها امتداد للخط المجوهر في صيغته التي تطورت منذ القرن السادس الهجري/12م وانتشرت في بلاد المغرب العربي وامتدت إلى إفريقيا عن طريق الاتصال الثقافي المستمر بين المغرب وهذه البلدان خلال العصر الوسيط، والذي تعزز بالخصوص منذ عصر المرابطين. ومن هذه الأنواع :

• **الخط المدمج** : ليس هذا الخط نوعا محددا من الأنواع المعروفة للخط المغربي، ولكنه شكل من أشكال الكتابة الاعتيادية تجمع بين مؤثرات المبسوط والمجوهر، أو المجوهر والمسند أحيانا، أو عناصر من هذه الأنواع الثلاثة كلها. وتمثله خطوط المناطق التي ظلت بعيدة عن الحواضر العلمية حيث كان الخط يخضع لتطوير وتجويد مستمرين، ومن أصنافه الخطوط المغربية المسماة بالخط السوسي والدرعي والصحراوي والبدوي عموما التي تمتاز بغلظ حروفها وافتقارها إلى جمالية الخطوط المغربية المعروفة. وقد كتبت بهذا النوع أيضا نصوص إسلامية في الفقه والتفسير والحديث والعقيدة باللغة الأمازيغية خاصة بمنطقة سوس.

• **الخط الجزائري** : تأثر خط بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) كثيرا بالخط المغربي منذ عصر المرابطين، واستمر تأثيره مع احتضان المغرب الأقصى للتراث الخطي الأندلسي، كما كان لازدهار دروس العلم في جامع القرويين بمدينة فاس وتردد أعداد من فقهاء وطلبة المغرب الأوسط عليها لقرون متوالية دور بالغ في استمرار التأثير في مجال الخط خاصة في مناطق الغرب الجزائري، بينما تأثر شرق الجزائر بالخط التونسي.

• **الخط التونسي** : بعد توقف استعمال الخط الكوفي القيرواني في حدود أوائل القرن السادس الهجري وخضوع إفريقية للحكم الموحدي بدأت مرحلة تأثير خطي مغربي أندلسي قوية بهذا القطر، ازداد بوتيرة كبيرة بعد الهجرات الأندلسية إليه خاصة ابتداء من عهد الحفصيين. واحتفظ الخط التونسي بعد ذلك بملامح

المبسوط المغربي الأندلسي، وصار يعرف بالخط الحفصي. كما ظهر أيضا بتونس نموذج محلي من خط الثلث تأثر كثيرا بالثلث الأندلسي. وينتشر الخط التونسي أيضا بشرق الجزائر وبليبيا.

ومع خضوع تونس والجزائر للعثمانيين لم تعد السيادة للخطوط المغربية وحدها، حيث زاحمتها الخطوط المشرقية في كثير من المجالات، وبالرغم من توقفها عن التطور فقد ظلت الخطوط المغربية موجودة وصامدة.

7- الخط السوداني :

ينسب الخط السوداني إلى بلاد السودان الغربي[24]. وتطلق عليه أسماء أخرى مثل التنبكتي والسوداني والسنغالي وغيرها (شكل 11). وتتميز حروفه بكونها بسيطة وغليظة ويابسة، تعكس بشكل واضح بساطة وقساوة الحياة في الصحراء الإفريقية. ولكنها تحتفظ مع ذلك ببعض ملامح الخطين الكوفي والمبسوط المغربي. وقد ساهمت مراكز علمية إفريقية شهيرة مثل توات وتادمكة وتمبكتو وولاتة وتيشيت وشنقيط وغيرها في انتعاش واستمرار هذا النوع من الخط، خاصة حينما أصبح أهل هذه البلاد يكتبون به لغاتهم المحلية كالفولاني والبولار والماندنكي والسواحلية وغيرها، ويسمون المخطوطات المكتوبة بها بالمخطوطات العجمية (Ajami).

ومنه نوع آخر يعرف بالخط السوقي نسبة إلى مدينة السوق بشمال مالي التي كانت تعرف في العصر الوسيط باسم تادمكة، وهو نوع تمتاز حروفه بالدقة، ولكنها تحتفظ بملامح إفريقية (شكل 12).

وتوجد بعض المخطوطات بالخطوط السودانية المختلفة في الخزائن المغربية، لكن يلاحظ ان هجرة الخطوط المغربية إلى بلاد السودان الغربي كانت بوتيرة أسرع من الهجرة المعاكسة، ذلك أن إنتاج الكتاب بالمغرب كان ضخما إلى حد أن تصدير الكتب ونقلها من المغرب كان يتم في جميع الاتجاهات ومنها أفريقيا جنوب

---

(24) كانت المصادر العربية القديمة تطلق اسم بلاد السودان على غرب إفريقيا الحالي، من السنغال إلى مالي وبوركينا فاسو والنيجر. أما السودان الحالي فكان يعرف في التراث العربي باسم بلاد النوبة.

الصحراء. ولا أدل على ذلك من مكتبات تنبكتو الشهيرة[25] التي عاينا فيها المصاحف والمخطوطات المغربية من كل فن ومن جميع العصور[26]. كما أن مكتبات العالم الشهيرة والمجموعات الخاصة تزخر بنفائس المخطوطات المغربية حسبما تدل عليه فهارسها المنشورة. وسيكون من المفيد لو تبنت إحدى المؤسسات العلمية ببلادنا مشروعا علميا لوضع فهرس يتتبع هذه المخطوطات ويحصيها ويحدد أماكنها ويعرف بها.

خاتمة :

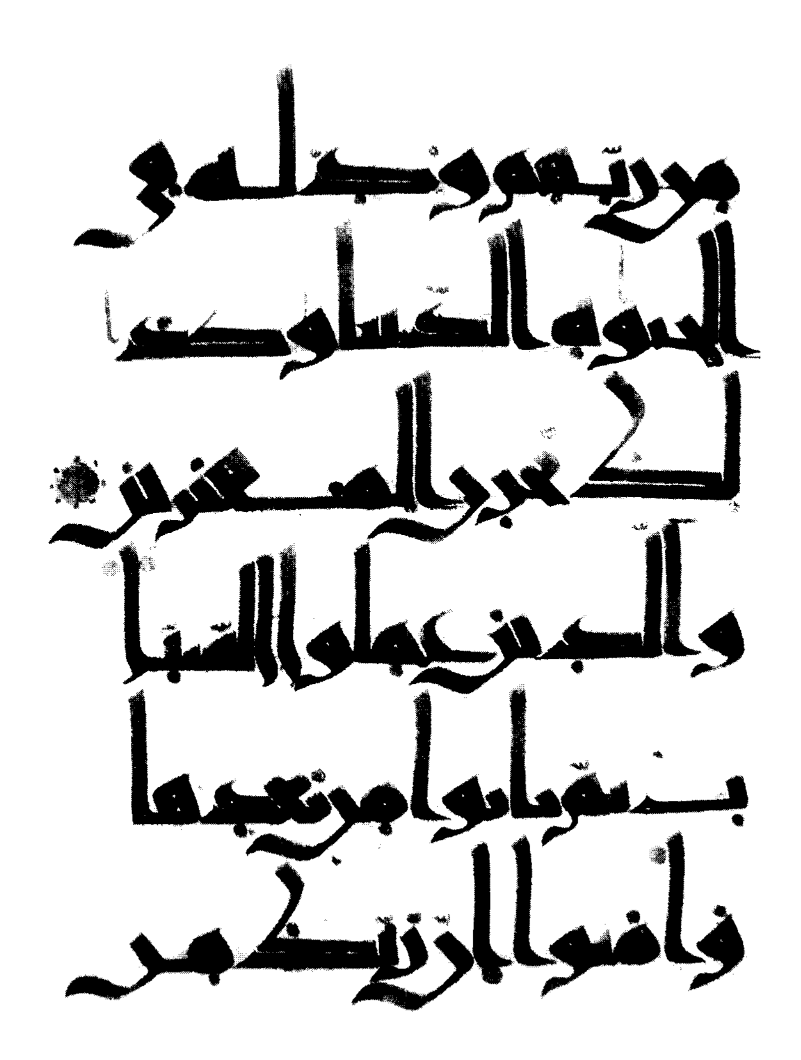
تبين مما سبق أن الخطوط المغربية خضعت لتطور تاريخي، تحقق بتواصل فني بين المشرق والأندلس والمغرب، أدى إلى غناها وتنوع أساليبها امتدادها المجالي، فوصلت إلى عمق القارة الأفريقية عن طريق الفاتحين والدعاة والتجار والمتصوفة والعلماء. و لم يقتصر التعاطي مع الخط عند المستوى الوظيفي، بل امتد إلى المستوى الفني أيضا، مما خلف لنا تراثا إبداعيا جديرا بالاهتمام يمكن أن يغذي توجهات فنية تمتاح من الحرف المغربي وتستمد منه إيحاءات تجريدية ورؤية فنية ذات أبعاد فلسفية وجمالية خاصة.

ولا شك أن الخط المغربي الذي توقفنا عند نماذجه المختلفة غني بالإمكانات والخصائص الكاليغرافية التي تتطلب دراستها عملا تطبيقيا ينطلق من تشريح الحروف للوصول إلى تقرير نتائج فنية تسهم في عملية التقعيد، والمنطلق في ذلك لن يكون سوى تنويع النماذج الخطية المختلفة التي تساعد الدارس على التأمل والدراسة، ويتوقف ذلك بالأساس على مرحلة «مصار الصورة» التي تعاني منها المخطوطات المغربية.

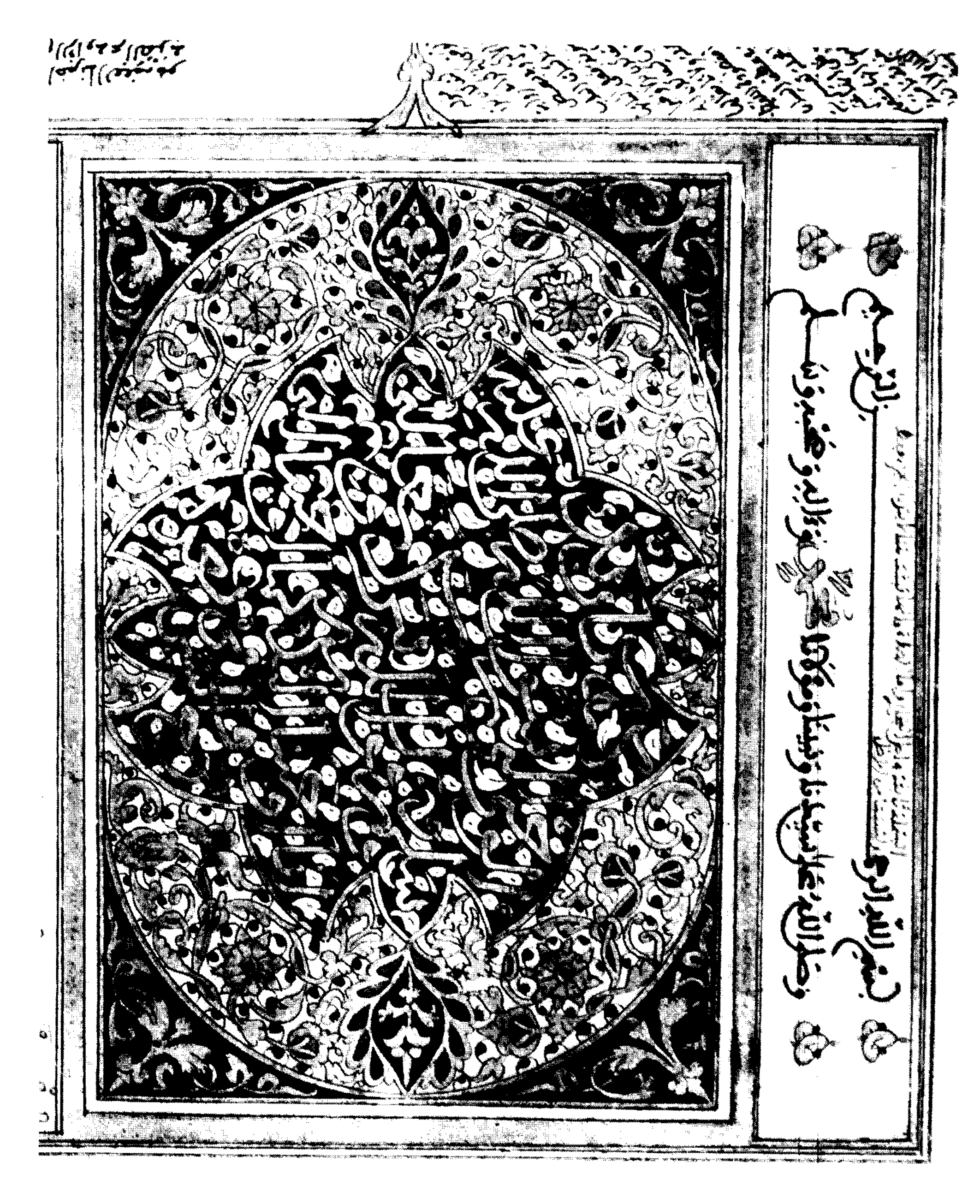
---

(25) من مكتبات تنبكتو التي وقفنا فيها على مخطوطات مغربية كثيرة : مكتبة معهد أحمد بابا، ومكتبة ماما حيدرة، ومكتبة إسماعيل حيدرة، ومكتبة محمد الطاهر، ومكتبة محمد بابا حاسيي إمام مسجد سيدي يحيى بتنبكتو. وتضم هذه المكتبات مجتمعة أكثر من 42 ألف مخطوط، ينظر بحثنا : تمبكتو : ألف سنة من المخطوطات.

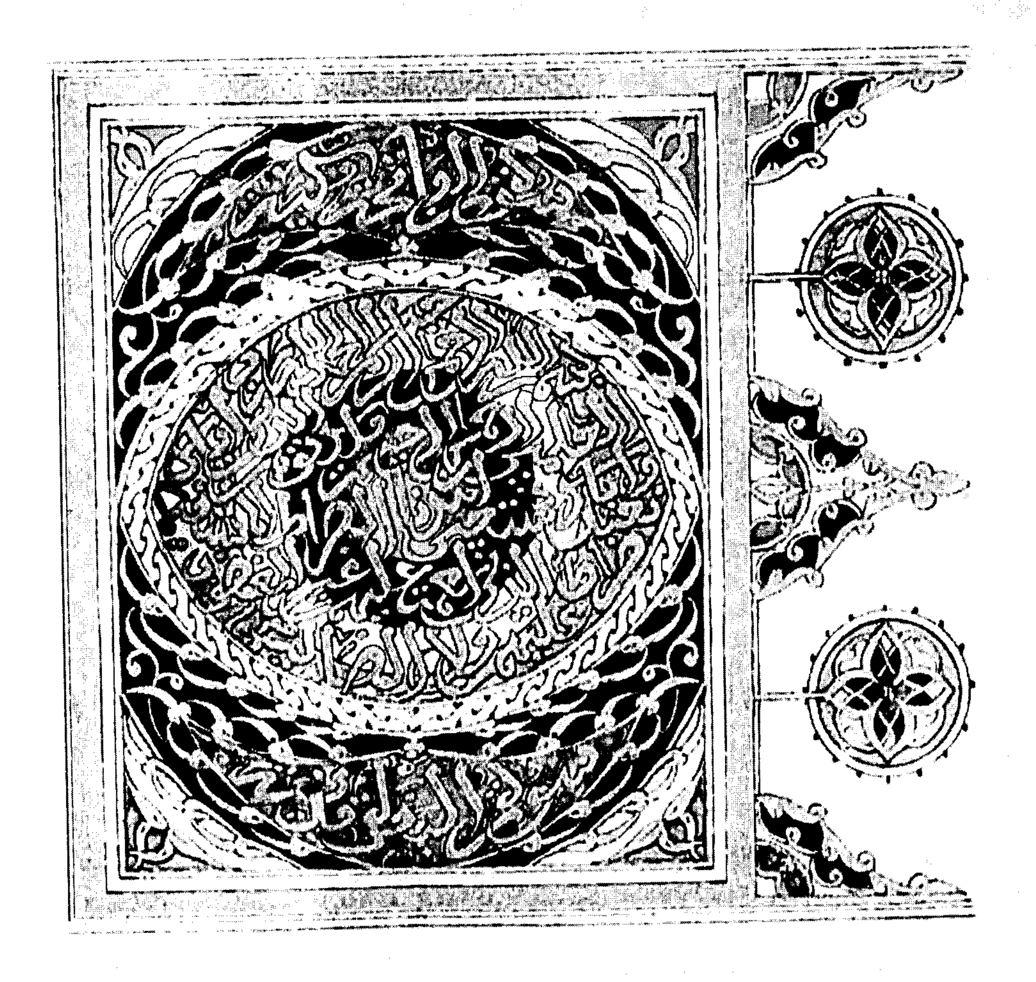
(26) أقدم مخطوط وقفنا عليه هناك مصحف تام مربع الشكل، كتب على الرق بالخط المبسوط الدقيق، يعود إلى العصر الموحدي، مؤرخ بسنة 595هـ، و«كتب بسبتة حرسها الله».



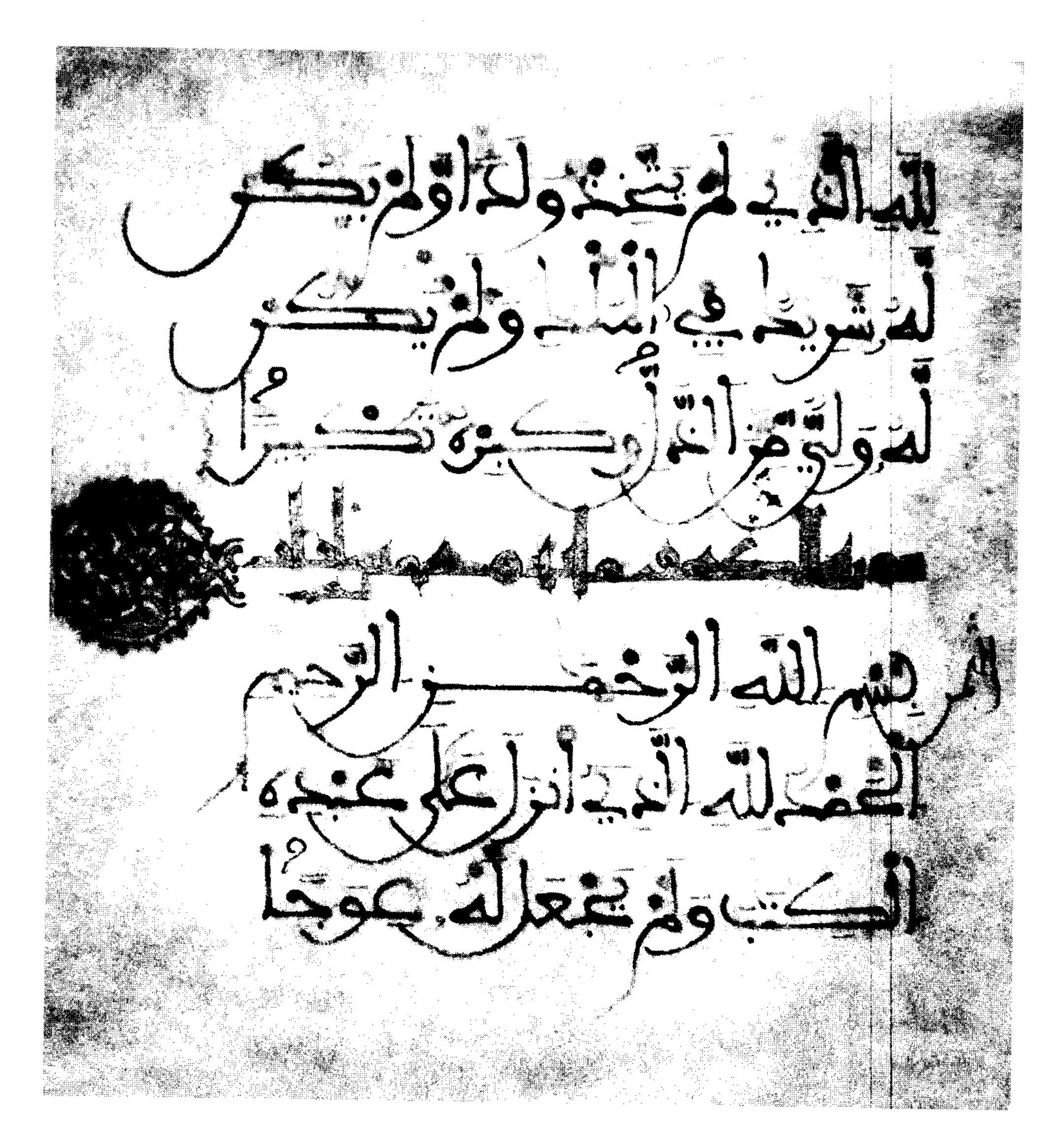
شكل 1



شكل 2

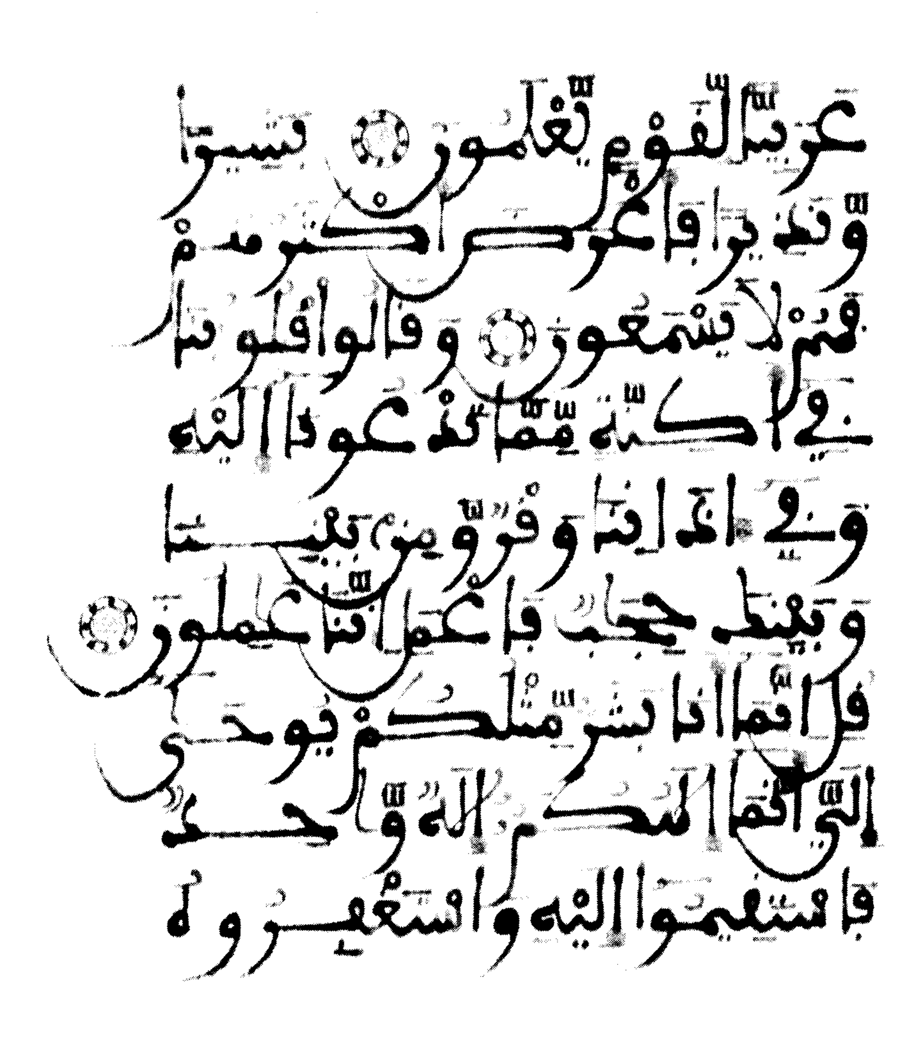


شكل 3

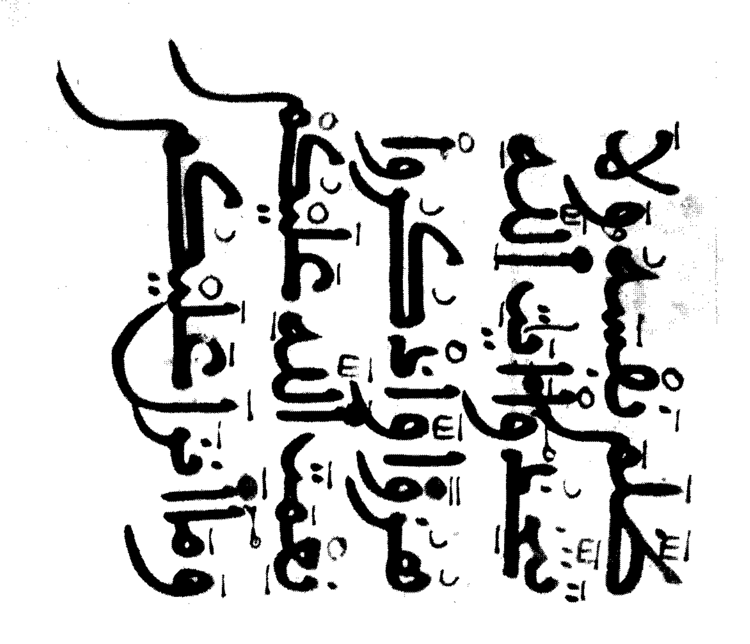

لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن
له شريك في الملك ولم يكن
له ولي من الذل وكبره تكبيرا

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي انزل على عبده
الكتب ولم يجعل له عوجا

شكل 4


عربيا لقوم يعلمون ۝ بشيرا
ونذيرا فأعرض أكثرهم
فهم لا يسمعون ۝ وقالوا قلوبنا
في أكنة مما تدعونا إليه
وفي آذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون ۝
قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى
إلي أنما إلهكم إله واحد
فاستقيموا إليه واستغفروه

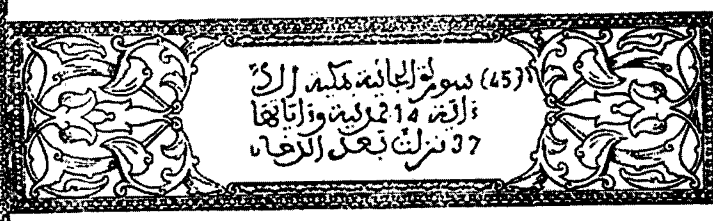
شكل 5





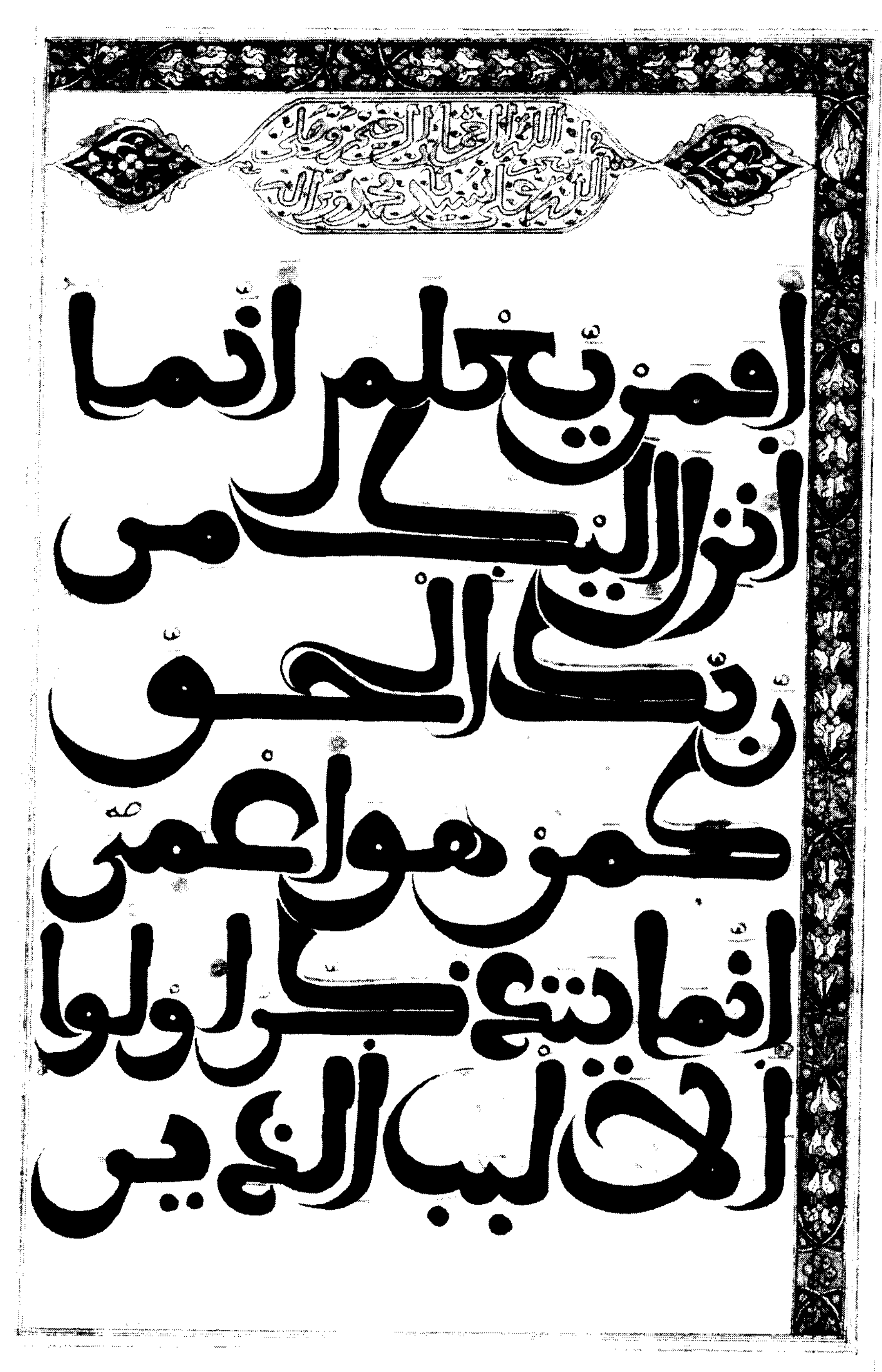
شكل 6

(49) إن هذا ما كنتم به تمترون (50) إن المتقين في مقام
أمين (51) في جنات وعيون (52) يلبسون من سندس وإستبرق
متقابلين (53) كذلك وزوجناهم بحور عين (54) يدعون
فيها بكل فاكهة آمنين (55) لا يذوقون فيها الموت
إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم (56) فضلا
من ربك ذلك هو الفوز العظيم (57) فإنما يسرناه
بلسانك لعلهم يتذكرون (58) فارتقب إنهم
مرتقبون (59)

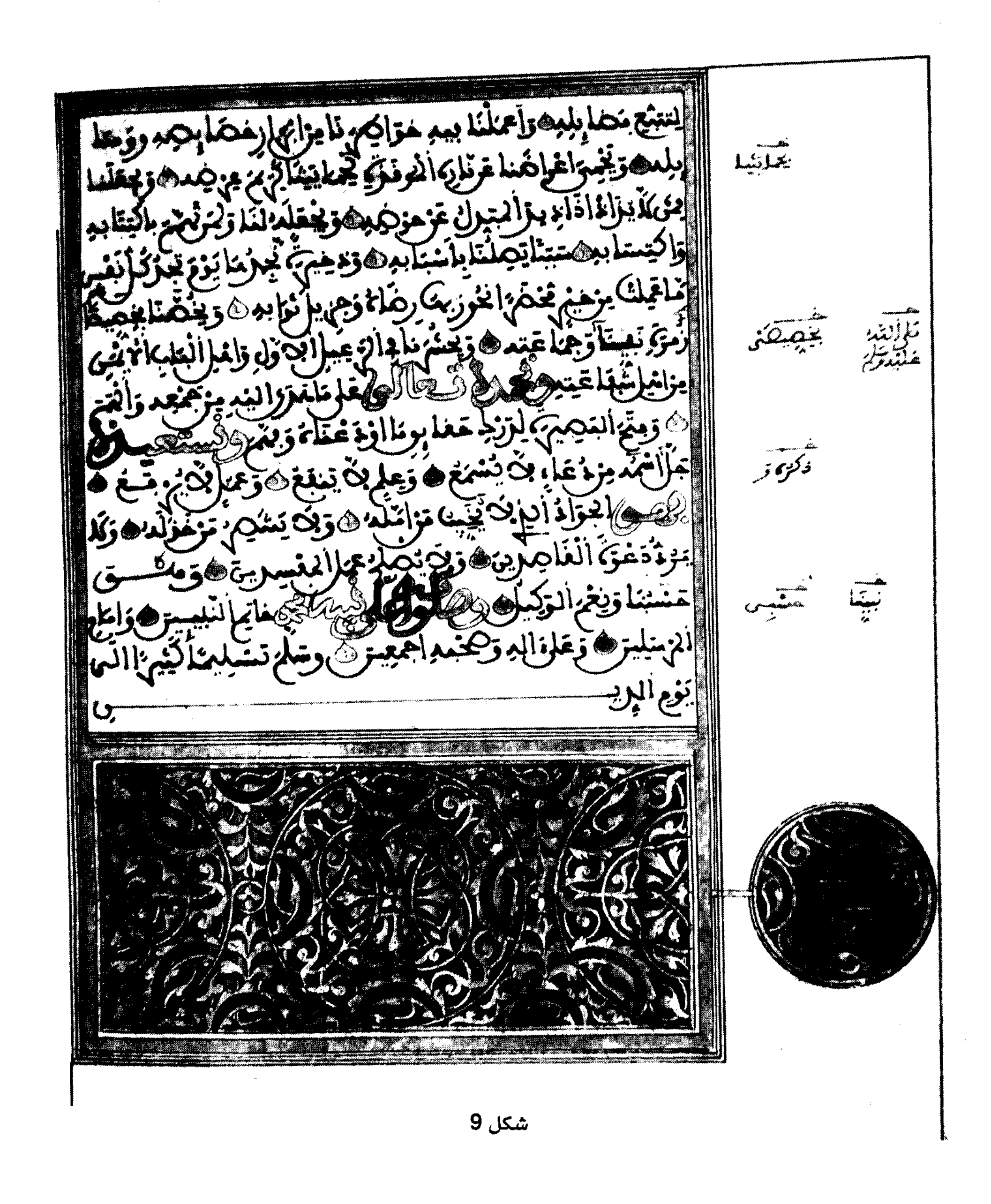


بسم الله الرحمن الرحيم حم (1) تنزيل الكتاب من
الله العزيز الحكيم (2) إن في السماوات والأرض
لآيات للمؤمنين (3) وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات

شكل 7


افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب الذين

شکل 8



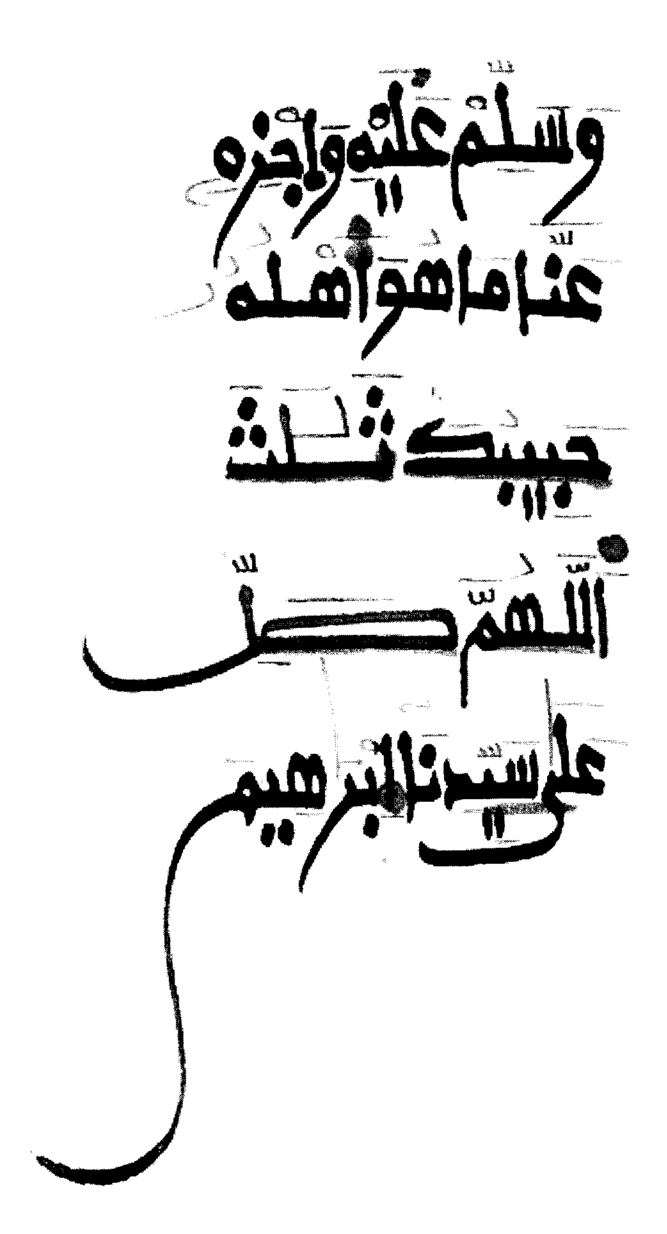
شكل 9

وشي عن صلاة الليل ورداً أنه معهود، نحو الحلقة في المسجد و
من حول حلقته المذكورة اتصل عليه عشاء دائماً، ومنا لو كان في قلـ
كان نماء بعينه ... مستنده عمل المؤمن بالله تعالى ابن أمير المؤمنين
ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين رحمه الله فعلى والجزاء منوا به على كـ
جامع السفلية التي في تلمسان رحمه الله تعالى به عصم من كثير
بما من المشاجين ليلاً ونهاراً الجمع من قبل، بما بالجامع المذ
استقرار منازل في [illegible] المصلحة ... فقلنا بالعمل
ثم من بعد ذلك [illegible] الله [illegible]
[illegible] الذي سنه المذكور لنفسه في الجامع المذكور [illegible]
وحده وحده الله عز وجل والله لا يضيع أجر من أحسن عملا
رجب الفرد عام ستة وخمسين وستمائة جعل الله ذلك

هذا صحيح [illegible] علينا مضمنه [illegible]
عبد الواحد بن مخلوف [illegible]
وعبد الله بن علي بن عبد الله [illegible]

أعلم

شكل 10


وسلم عليه واجزه
عنا ما هو اهله
حبيبك ثلث
اللهم صل
على سيدنا ابرهيم

شكل 11

ثواب الدنيا والاخرة وكان الله سميعا
بصيرا يايها الذين امنوا كونوا قوا
مين بالقسط شهداء لله ولو على ا
نفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن
غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا
الهوى ان تعدلوا وان تلوا او تعرضوا
فان الله كان بما تعملون خبيرا يايها
الذين امنوا امنوا بالله ورسوله
والكتب الذي نزل على رسوله والكتب
الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله
وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر

شكل 12